خطبة: الظّن مزلق خطير

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

حديثنا اليوم رسالةُ تحذير وتنبيه عن أوسعِ أبواب الإغواء الشيطاني ، وأخطر مداخل الإضلال الإبليسي، أورد الفجّارَ المهالك ، وتسبّب لبعض المؤمنين بفقدان اليقين والإطمئنان في أدب المؤمن مع ربّه وعلاقته مع إخوانه المسلمين ،،

إنه ظنُّ السوء عباد الله الذي حذّر منه النبي - صلى الله عليه وسلم بقوله: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ» رواه البخاري ومسلم.

والشيطان عباد الله له في الظن السيء غوايتان : سوء الظن بالله وسوء الظن بالمؤمنين ،،

أما سوء الظن بالله فهو أن ينسب المرء إلى ربه ما لا يليق به، أو يصفه بما هو منّزّهٌ عنه أو يتعلق بغيره، توكلا واعتمادا مطلقا ، أو يقنط من رحمة الله وييأس من روح الله أو يتمادي في فجوره ظنّاً بأن الله تعالى لن يحاسبه أو أن الله لن يغفر له ،، وهذا الظن السيء بالله هو الذي أورد أولئك المهالك ووبّخهم الله عليه ، فقال تعالى :

" وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (23 فصلت)

ومن ذلك في حق المؤمنين من يظن أن الله لاينصر أولياءه ولن ينصر دينه ولن ينزل عقوبته على الظلمة والطغاة او أنّه يساوي بين الصالحين من عباده والفجار ،

قال تعالى " أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21 الجاثية )

لذلك وجب على المؤمن أن يحسن الظن بربّه ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلَ مَوْتِه بثَلاثَةِ أيّام، يقولُ: "لاَ يَمُوتَنّ أحَدُكُمْ إِلاَّ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بالله عز وجل ". رواه مسلم.

قال ابن مسعود: "والذي لا إله غيره ما أعطي عبدٌ مؤمنٌ شيئاً خيراً من حسنِ الظن بالله -عز وجل-، والذي لا إله غيره لا يحسن عبدٌ بالله -عز وجل- الظن إلا أعطاه الله ظنه، ذلك بأن الخير بيده".

وفقنا الله تعالى للبرّ والتقوى ، وأعاننا على العمل الذي يرضى ، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم

معاشر المؤمنين

 أما سوءُ الظّنّ بعباد الله؛ فقد نهانا الله سبحانه وتعالى عنه لما فيه من إثم مبين وذنب عظيم ، وتقطيعٌ لأواصر المودة والألفة بين المؤمنين ، فقال سبحنه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾.

ومن أعظم حوادث سوء الظن ماكان من حديث الإفك للطاهرة المطّهرة عائشة رضي الله عنها الصّديقةُ بنت الصديق ، حين أطلق المنافقون مقالة السوء في عرضها ، وإتهموها بما برّأها الله تعالى منه ، وكانت محنة عظيمة هلك فيها من هلك ونجا من نجا ، وشتان ما بين الفريقين ، أما من خاض في الإفك فقد توعدّه الله جلّ وعلا " إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (11 النور )

أما من عصمه الله وعفَّ وكفَّ ، وأحسن الظن فقد نجا وامتدحه الله تعالى فقال سبحانه ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴾.

نزلت الآية في أبي أيوب الأنصاري خالد بن زيد، رضي الله عنه ، قالت له امرأته أمّ أيوب: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أمّ أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك،

هكذا يعصم الإيمانُ وحسنُ الظن المؤمنين من الزلل والتردّي في مهاوي سوءِ الظن الشيطاني ، وكان عتابا شديدا من الله جلّ وعلا لمجتمع المدينة ،

 قال سبحانه " إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (15) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (16) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (17) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (18)( النور )

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لا يحل لامرئٍ مسلم سمع من أخيه كلمة أن يظن بها سوءاً، وهو يجد لها في شيء من الخير مخرجاً).

بسوء الظن وقبول الاتهامات وأحاديث الإفك

نفوس تتحَطّم... وبيوت تتهدّم... وأسَرٌ تتشرّد... وصِلاتٌ تتقطع... وأعراض تتهم... وصُورٌ مضيئة تشوَّه... ومجتمعات تتردّى...

 ومن عجيب أمر البشر ، إلا من رحم الله ، أن النفوس تتقبل سريعا مقالة السوء وأحاديث الإفك ، وتتردد في قبول أقوال البراءة والسلامة

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ ♦️♦️♦️

وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا

فاتقوا الله عباد الله وأحسنوا الظنَّ بربكم إيمانا وإحسانا ويقينا ، وأحسنوا الظن بإخوانكم تسلم قلوبكم وتُشفى صدوركم وتُرضون ربكم .